الآن، كل المحاولات الاسرائيلية لايجاد بديل فلسطيني من سكان المناطق المحتلة يقبل الحوار معها حول حل للمشكلة الفلسطينية، في حين استطاعت اختراق التماسك الصهيوني ووصلت الى قلب المجتمع الاسرائيلي: اذ بدأت اصوات واحزاب صهيونية تدعو الى وجوب التعامل مع منظمة التحرير باعتبارها العنوان الفلسطيني الوحيد الذي يستطيع اتخاذ القرار.

على الصعيد العربي، تمكنت المنظمة من انتزاع القرار بوحدانية تمثيلها للفلسطينيين، كما انتزعت قرار حقها بالعمل من داخل الاراضي العربية، وعدم التدخل في شؤونها، لكن ذلك ظل، من حيث التطبيق، دون مستوى القرار المتخذ، وفي حالات عديدة مورس نقيضه. وقد شكل كل من الاردن وسوريا، كل بحساباته الخاصة، نموذجا للتباين مع منظمة التحرير الفلسطينية وصل حد الاحتكام إلى السلاح، وكانت الغلبة فيه للانظمة. واختلف الامر مع لبنان بسبب طبيعة تركيبة النظام الاجتماعي والسياسي فيه، حيث مكن ذلك منظمة التحرير من ان تجعل منه قاعدة لنضالاتها ضد اسرائيل لاكثر من عشر سنوات تعتبر العصر الذهبي للمنظمة، بغض النظر عن السلبيات التي ارتكبت وتراكمت، الى درجة يمكن القول معها ان تجربة منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان تعتبر التجربة الكيانية الاولى للفلسطينيين (بتحفظ) اذا تذكرنا ان حكومة عموم فلسطين، التجربة السابقة، ولدت ميتة.

داخل البيت الفلسطيني، عجزت منظمة التحرير الفلسطينية عن ان تشكل الاطار الجامع للمنظمات الفلسطينية طيلة العشرين سنة التي مرت عليها، وذلك بالرغم من انها ضمت الاغلبية على الدوام، وكذلك بالرغم من اقرار الجميع بانها الاطار الشرعي، فقد كان هناك، دائما، من هو على خلاف معها منذ تأسيسها في ١٩٦٤ حتى انعقاد دورة مجلسها السابعة عشرة في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٤. وتعود اسباب الخلافات معها اما للتباين في نهجها السياسي ونهج التنظيم المختلف معه، او لتأثير الدول العربية على بعض التنظيمات الداخلة في اطار المنظمة. ويعود مجمل ذلك الى نقطة جوهرية في وضع العمل السياسي الفلسطيني، وهي انه عمل خارج ارضه.

يمكن ملاحظة ان العمل السياسي الفلسطيني توزع حول ثلاثة اتجاهات، واذا دفعت بالتحاليل نحو نهاياتها، فان الاجابة على التساؤلات التالية تشكل ارضية لتلك الاتجاهات:

هل القضية الفلسطينية محض قضية وطنية فلسطينية؟ «هويتنا الوطنية الفلسطينية (ياسر عرفات)».

هل القضية الفلسطينية قضية قومية عربية يتساوى فيها الفلسطيني باشقائه العرب؟ «ان القضية الفلسطينية زالت عنها طبيعتها الفلسطينية منذ اللحظة التي دخلت فيها الجيوش العربية ارض فلسطين (الملك حسين)»؛ «ان فلسطين هي الجزء الجنوبي من سوريا (حافظ الاسد)».

هل القضية الفلسطينية جزء من قضية قومية عربية تحتل فيها مركز الصدارة باعتبار ان الصراع العربي ـ الاسرائيلي صراع بين مشروعين حضاريين في منطقة الشرق الاوسط، يشكل فيه الفلسطينيون الرافعة التاريخية؟ «النضال يجب ان ينتهي في فلسطين، لا ان يبدأ فيها (خالد الحسن)».

وسواء تحدد التطور التاريخي في هذا الاتجاه او ذاك، لا بد من ملاحظة ان العمل السياسي الفلسطيني نما في الاوساط السياسية العربية، برعايتها او بالتناقض معها. كما ان احياء